سينما

النشاط السينمائي في المغرب 2020

تراجع كبير ودعم غير كافٍ

أصدر «المركز السينمائي المغربي» تقريره السنوي لرصد أحوال النشاط السينمائي في المغرب في العام الفائت، فكانت النتيجة تراجعاً مخيفاً

سعيد المزواري

أكّدت أرقام الحصيلة السنوية، الواردة في تقرير «المركز السينمائي المغربي»، على تراجع هائل عرفه النشاط السينمائي عام 2020، بسبب انعكاسات أزمة كورونا. وإذا كانت قطاعات الاستغلال والتوزيع المتضرّر الأكبر من تداعيات إغلاق الصالات السينمائية، فإنّ قطاع الإنتاج تأثّر نسبيّاً، بعد السماح باستئناف التصوير. بينما سعت استراتيجية الدعم (بشقّيه العادي والاستثنائي) إلى مسايرة الأزمة، بتخفيض الدعم من جهة، وصرف دعم استثنائي للصالات والمهرجانات، بغية مساعدتها على تجاوز التأثير العاصف للأزمة على توازناتها المالية، من جهة أخرى.

انخفض عدد الأفلام الطويلة بشكل ملحوظ من 22 فيلماً (2019) إلى 13 فقط (2020)، منها «واحة المياه المتجمّدة» لرؤوف الصباحي، و«الوسيط»، أول فيلم طويل لزهور الفاسي الفهري، و«كذب أبيض» لأسماء المدير، و«البروفا الأخيرة» لياسين فنان. هناك ارتفاع مُشجّع في نسبة الأفلام المنتجة بمبادرة خاصة (خارج صندوق الدعم)، إذْ بلغت 77 بالمئة عام 2020، مقارنة بـ41 بالمئة عام 2019، ما يرسّخ منحى تنامي مبادرات الإنتاج الخاص في الأعوام الأخيرة. أما الأفلام القصيرة، فشهد إنتاجها تراجعاً بنسبة 28 بالمئة في الفترة نفسها، أي من 115 إلى 86 فيلماً.

في ما يخص الإنتاجات الأجنبية المُصوّرة في المغرب، عرفت استثماراتها تراجعاً حاداً: من 796 مليون درهم (نحو 86 مليون دولار أميركي، إذ إنّ الدولار الأميركي الواحد يُساوي نحو 9 دراهم) عام 2019، إلى 211 مليون درهم فقط، في العام الماضي. منها: «المعذور» لإنكليزي جون مايكل ماكدونا («كالفَاري»، 2014)، و«مخطوف» للكوري كيم سونغ. هون («يوم صعب» عام 2014 و«نفَق» عام 2017).

أما مشاريع الأفلام المغربية، المستفيدة من دعم الإنتاج عام 2020، فبلغ عددها 12 فيلماً طويلاً، منها: «أزرق القفطان» لمريم التوزاني، و«أيام صعبة» لنوفل براوي، و«العبد» لعبد الإله الجوهري، و«ميرا» لنور الدين لخماري. تراجع مجموع الأموال المرصودة لدعم إنتاج الأفلام من 73 مليون درهم عام 2019، إلى 48 مليون درهم في العام الماضي (34 بالمئة)، بسبب تراجع عدد الأفلام الطويلة الحاصلة على دعم ما بعد الإنتاج، من 7 أفلام (2019) إلى فيلم واحد (2020). كذلك شهدت نسبة الأفلام الأولى لمخرجيها، من مجموع الأفلام الحاصلة على الدعم، انحساراً من 39 بالمئة إلى 27 بالمئة (في العامين نفسيهما).

> الإقبال الجماهيري على الصالات كان مرشّحاً للارتفاع لولا كورونا

لم تشهد تركيبة التوزيع اختلافاً كبيراً بين الشركات، نظراً إلى العدد المحدود للأفلام المطروحة في السوق، في الأشهر الثلاثة الأولى من عام 2020، قبل اتّخاذ قرار إغلاق الصالات السينمائية. في المقابل، يلفت الاهتمامَ الإقبالُ الكبير على الفيلم الكوميدي «30 مليون»، لربيع شجيد، الذي بيعت 226 ألف تذكرة لمُشاهدته، في شهرين فقط، محتكراً بذلك المرتبة الأولى في شبّاك التذاكر. تبعه، في المرتبة الثانية، الفيلم الأميركي 3 Bad Boys لبلال فلاح وعادل العربي (36 ألف تذكرة)، بينما حلّ الفيلم المغربي «آدم»، لمريم التوزاني، في المرتبة الخامسة (15 ألف تذكرة)، وهذا رقم مُشجّع، نظراً إلى الفترة المُحتَسَبة ونوع الفيلم.

بلغ مجموع التذاكر، المبيعة في الفترة نفسها، 497 ألف تذكرة، في مقابل مليون و883 ألف تذكرة مُسجّلة عام 2019. أي إنّ نسبة التراجع هائلة (73 بالمئة)، ما يوضح حجم الخسائر التي تكبّدها القطاع في العام الفائت، والتأثير الكارثي لاستمرار إجراءات الإغلاق في فترة الصيف في المغرب، رغم فتح صالات السينما مع إجراءات احترازية في معظم دول العالم. لكنّ مقارنة مجموع نتائج استغلال الأشهر الثلاثة الأولى فقط بين العامين 2019 و2020، تعطي الأفضلية للعام الفائت بنسبة 5 بالمئة، ما يؤشّر على منحى تصاعدي مُحفّز، كان سيُسجّله الإقبال الجماهيري على الصالات، لولا ظروف كورونا.

من ناحية أخرى، استفادت 26 صالة سينمائية (74 شاشة) من دعم استثنائي من الدولة، لمساعدتها على امتصاص المصاريف القاهِرة (أجور الموظّفين، تكاليف الصيانة، إلخ.)، بلغ أكثر من 9 ملايين درهم، بالإضافة إلى مليوني درهم صرفت كدعم لرقمنة وسائل العرض، و4,8 ملايين درهم للتجديد، و3 ملايين درهم لإنشاء صالة جديدة في كورنيش مدينة الجديدة.

إلى ذلك، استفادت 8 مهرجانات فقط، أهمّها «مهرجان سينما البحر الأبيض المتوسّط بتطوان»، و«المهرجان الدولي لسينما التحريك بمكناس»، من دعم استثنائي (مليون و395 ألف درهم)، لتغطية مصاريف استعدادها لدوراتها عشية انعقادها، قبل المفاجأة غير السارّة للقائمين عليها ولجمهورها، المتمثّلة بالمنع.

وأفرد التقرير حيّزاً أخيراً لحصيلة مبادرة عرض أفلام مغربية طويلة وقصيرة (مزيج من التراث السينمائي وأفلام حديثة الإنتاج) على منصّة «المركز السينمائي المغربي»، في أثناء فترة الحجر الصحي، للمساهمة في تبديد أجواء العزلة والكلل، بين مارس/ آذار ويوليو/ تموز 2020، بعرض 64 فيلماً مغربياً طويلاً و33 قصيراً، سجّلت كلّها مليوناً و127 ألف مُشاهدة في العالم، مع غالبية ساحقة في المغرب (894 ألف مُشاهدة)، ثم فرنسا (103 آلاف)، فإسبانيا (65 ألف مشاهدة).

مريم التوزاني: دعم إنتاجي لـ«أزرق القفطان» (دومينيك شارّيو/ Getty)

«رؤى الواقع الـ52» افتراضياً وواقعياً

عالم مثالي وآخر مليء بالحروب

ندى الأزهري

نسخة هذا العام ستكون افتراضية معظم الأحيان، وواقعية حين تقتضي الضرورة. هكذا بات حال المهرجانات اليوم. مزيجٌ بين واقع وافتراض، تفرضه رغبة في حضور للسينما مهما تعقّدت الظروف. مهرجان «رؤى الواقع» السويسري، في نسخته الـ52 (15 . 25 إبريل/ نيسان 2021)، خرج من أجواء الشكّ التي تلفّ العالم، وقرّر تواجداً على الشبكة العنبكوتية، للسنة الثانية على التوالي، مع حضور واقعيّ أحياناً، ضمن مشاريع ثقافية مخصّصة للطلبة مثلاً، في دورة وُضعت فيها كلّ الإمكانيات لتكون «حدثاً خاصاً ومَعْلَماً للجمهور والسينمائيين على حدّ سواء»، كما كتبت إيميلي بوجس، المديرة الفنية لـ«مهرجان نيون». في وصفها سياسة الاختيار الرسمي للعام الحالي، أكّدت بوجس على أفلام تحتضن الحرية والذاتية، ولا تدّعي الشرح وإعطاء المعلومات، «كي تُترجم أكثر مشاعر وأحاسيس شخصية، وكي تُصبح بهذا أكثر كونية». خيارات أريد لها أنْ تكون «قوية وانتقائية»، لتسمح مرّة أخرى بإدراكِ استقلالية سينما الواقع المعاصرة وتحرّرها، التي (سينما الواقع) تحافظ على مسافة معقولة من الرهانات المتفرّدة للفيلم الروائي، وتعريفات للفيلم الوثائقي، تكون محدودة غالباً، وتمسّ جوهره وشكله.

مهرجان «رؤى الواقع» يستمد أهميته من خياراتٍ تجعله منارة على المستوى العالمي من جهة، ومشاركا رئيسيا في الإبداع السينمائي السويسري، لكونه المنصّة الأهم للفيلم المحليّ، من جهة أخرى. ما يُظهر دور المهرجان في الاستكشاف، في مجالات سينما الواقع، عدد الأفلام الذي وصله، والذي حافظ على ثباته، رغم وباء كورونا. من 3000 فيلم، اختير 142 (41 بالمئة لمخرجات)، منها 82 فيلماً ذات «عرض عالميّ أول»، و16 ذات «عرض دولي أول» (أي أنّها عُرضت سابقاً، لكنْ في بلدانها فقط). هناك أيضاً 31 فيلماً أول.

ستُعرض معظم الأفلام افتراضياً، وتتوزّع على 4 مسابقات، إلى أقسام وتظاهرات أخرى، منها تكريم الكاتب والمؤلّف السينمائي الفرنسي إيمانويل كارير، «ضيف شرف» المهرجان، الذي سيمنحه جائزة تقديرية. وكارير سيُعطي درساً سينمائياً، ويعرض فيلمه الوثائقي «عودة إلى كوتلنيتش» (2003)، بالإضافة إلى أفلام من اختياره الشخصي.

تتضمّن المسابقة الدولية للفيلم الطويل 13 عنواناً، تنتمي إلى سينما معاصرة، بكلّ انفتاحها وابتكارها وتفرّدها في رصدها أحوال عالم معاصر، مليء بحروب وصراعات وثورات. فلطالما كانت الحرب قدر البُشرية. لكنْ، عبر العصور، ومع «التقدّم»، تغيّر شكلها، وزاد ظهور الذكاء الاصطناعي والرقمنة المفرطة للأسلحة من تغيير قواعد اللعبة. في النزاعات الجديدة، المتحكّم بها عن بُعد على نحوٍ متزايد، يبدو أنّ الجبهة تأخذ اليوم شكل شيطان جديد ومخيف، يقدّمه «بيلوم . شيطان الحرب»، لديفيد هيرديس وجورج جوتمارك (السويد/ الدنمارك). حروبٌ أخرى أكثر واقعية، في «فلسطين الصغيرة» لعبدالله الخطيب (لبنان/ قطر/ فرنسا)، الذي يسرد يوميات حصار مخيم اليرموك في دمشق من قِبَل النظام السوري، حيث المواجهات شرسة، ومقاومة فظائع الهجوم شجاعة. أما آفي مُغربي، فيوجّه . في «السنوات الـ54 الأولى، دليل مُختصر لاحتلال عسكري»، القائم على لقاءات مع عسكريين إسرائيليين . «غضباً أخرس في مواجهة ما لا يُمكن تجاهله»، لأكثر من نصف قرن من الاحتلال الإسرائيلي، كما في كتيّب المهرجان. مع الحروب، ومع ما قبلها أو بعدها، هناك ثورات الشعوب، ماضياً وحاضراً، كما في «1970» للبولندي توماس ووسكي، عن قمع تظاهرات العمّال في بولندا الشيوعية؛ و«شجاعة» لآكسي بالويان (روسيا البيضاء/ ألمانيا)، وشهادات تاريخية قيّمة عن الثورات التي تبعت الانتخابات الرئاسية عام 2020.

إيمانويل كارير: جائزة وتكريم ودرس سينمائيّ (ليوناردو سنداموا/ Getty)

> مهرجان يستكشف جديد السينما ويُشارك في الإبداع المحلي

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ Army Of The Dead لزاك سنايدر، تمثيل إيلاّ بورنِل (الصورة) ودايف بوتيستا وآنا دو لا ريغيرا وتيو روسّي: ينضمّ الفيلم الجديد هذا، الذي تعرضه المنصّة الأميركية «نتفليكس»، إلى النوع المتداول بوفرة في الأعوام الأخيرة: أفلام الزومبي. من دون تحديد زمنٍ معيّن، تدور الأحداث في لاس فيغاس، حيث يُقرّر عددٌ من المرتزقة اختراق منطقة حجر صحّي لتنفيذ عملية سرقة، رغم أنّها (المنطقة) «موبوءة» بالزومبي.

■ Without Remorse لستيفانو سولّيما، تمثيل جودي تورنر . سميث (الصورة) ومايكل بي جوردان وجامي بِل: أثناء تحقيقه في ظروف مقتل زوجته على أيدي جنود روس، يكتشف جون كيلي مؤامرة دولية، من دون أن يحول اكتشافه هذا دون ملاحقة القتلة، بمساعدة زميلة له، وعميل لوكالة الاستخبارات الأميركية لا يزال مجهول الهوية بالنسبة إليه. مهمّة تدفع بأميركا وروسيا إلى تخوم الحرب، لكنّ انكشاف أسرار عدّة يضع الجميع أمام اختبارات أخرى.

■ Eiffel لمارتن بوربولون، تمثيل إيما ماكّاي (الصورة) وروومان دوري وبيار دولادونشون: في نهاية ثمانينيات القرن الـ19، كُلّف غوستاف إيفل بتصميم تمثال الحرية وتنفيذه، ما وضعه في تحدّ كبير مع الحكومة الفرنسية، التي تضغط عليه لإنجاز عمل عظيم يُقدّم في معرض دولي في باريس. في الوقت نفسه، يلتقي مجدّداً بأدريان بورجي، حبّ حياته. هذا سيؤثّر عليه كثيراً، ويمنحه «وحياً» منتظراً لتنفيذ العمل.

■ Ourse لنيكولا بيركانستوك، تمثيل أرماند بولونجي (الصورة) وأود رويتر وإلياس باشتا وسوان بيركانستوك: لأسباب غير معروفة كلّياً، تُصاب أورس بأضطراب يجعلها تتكلّم أثناء سَيْرها عُلى قدميها وهي نائمة، وهذا يدفعها إلى الهروب ليلاً من البيت من دون وعي. تحاول والدتها العثور على علاجٍ لها، لكن أورس ترفض وتُصرّ على معرفة إلى أين يأخذها اضطرابها هذا في الليل. هل تريد أنْ تنجو من حياتها؟

■ Perdrix لإيرفان لو دوك، تمثيل سوان أرلو وفاني أردان (الصورة): يعيش بردريكس حياة عادية للغاية، مع أفراد كثيرين من عائلته الكبيرة. قبل 20 عاماً، توفي والده، لكن تذكّره لا يزال حيّاً في ابنه، ضابط الدرك. كلّ شيء سيتبدّل كلّياً مع وصول جولييت، الشابّة غريبة الأطوار، التي ستفتح على الجميع أبواباً تخفي أسراراً وحكاياتٍ وتفاصيل.